بسم الله الرحمن الرحيم

الوَقْفُ وَتَنْمِيَةُ مُجْتَمَعَاتِنَا

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، دَعَا عِبَادَهُ لِيَكُونُوا لِلْخَيْرِ مُسَارِعِينَ، حَتَّى يُجْزِلَ لَهُمُ الأَجْرَ العَظِيمَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ﴿يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، كَانَ مُشَمِّرًا عَنْ سَاعِدِهِ لِلْعَمَلِ بِوَصَايَا رَبِّ العَالَمِينَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ العَامِلِينَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ: اتَّقُوا اللهَ حَقَّ التَّقْوَى، وَالزَمُوا نَهْجَهُ الأَوفَى، وَاستَعِينُوا بِهِ فِي أُمُورِكُمْ، يُسَدِّدْ سَعْيَكُمْ، وَيُجْزِلْ ثَوَابَهُ عَلَيْكُمْ. وَاعلَمُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – أَنَّ اللهَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَى حُبِّ الخَيْرِ وَبَذلِ المَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ وَالمُشَارَكَةِ فِي البِنَاءِ وَتَقْدِيمِ الأَنْفَعِ لِلنَّاسِ وَالأَصلَحِ لِحَالِهِمْ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[2]، وَمَعَ قِيَمِ الخَيرِ الَّتِي تَنْبُعُ بِغَزَارَةٍ مِنْ دَوَاخِلِ الإِنْسَانِ يَأْتِي الدِّينُ لِيُؤَكِّدَ تِلْكَ المَبَادِئَ وَالمُثُلَ، فَلَقَدْ بَيَّنَ صِفَاتِ المُتَّقِينَ المُسْتَحِقِّينَ لِلمَغْفِرَةِ وَالجَنَّاتِ وَالأُجُورِ، وَأَوَّلُ صِفَةٍ ذَكَرَهَا هِيَ النَّفَقَةُ فِي سَبِيلِ اللهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[3]، وَالنَّفَقَةُ –يَا عِبَادَ اللهِ – اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ إِحْسَانٍ لِلْغَيْرِ مَهْمَا كَانَ هَذَا الإِحْسَانُ، صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا. وَإِنَّ مِنْ أَفْضَلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَاتِ مَا اسْتَمَرَّ أَجْرُهُ فِي حَيَاةِ صَاحِبِهِ وَبَعْدَ المَمَاتِ، وَهُوَ الصَّدَقَةُ الجَارِيَةُ أَوِ الوَقْفُ، وَجَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: ((إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ المُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ: عِلْمًا نَشَرَهُ أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ تَلْحَقُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ)). فالْوَقْفُ يُعَدُّ نِظَامًا رَاقِيًا لِلصَّدَقَاتِ وَمَوْرِدًا عَظِيمًا لِلإِنْفَاقِ، وَرَمْزًا لِلسَّمَاحَةِ وَالْعَطَاءِ، وَعَصَبًا لِلاقْتِصَادِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ.

---

(١) البقرة: ٢٦١
(٢) الروم: ٣٠
(٣) آل عمران: ١٣٤ – ١٣٦

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

الوَقْفُ فِي الإِسْلامِ هُوَ حَبْسُ الأَصْلِ وَجَعْلُ المَنْفَعَةِ الحَاصِلَةِ مِنْهُ فِي وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ الخَيْرِ، وَالمُرَادُ بِالأَصْلِ مَا يُمْكِنُ الانْتِفَاعُ بِهِ مَعَ بَقَاءِ عَيْنِهِ كَالعَقَارَاتِ وَالمَحَلَّاتِ وَالمَزَارِعِ وَنَحْوِهَا، وَالمُرَادُ بِالمَنْفَعَةِ، الغَلَّةُ النَّاتِجَةُ عَنْ ذَلِكَ الأَصْلِ كَالأُجْرَةِ وَالثَّمَرَةِ وَسُكْنَى الدَّارِ وَغَيْرِهَا، فَفِي الحَدِيثِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ– أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ هُوَ أَنْفَسُ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قَالَ: ((إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا))، قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لا يُبَاعُ أَصْلُهَا، وَلا يُبْتَاعُ، وَلا يُورَثُ، وَلا يُوهَبُ، قَالَ: فَتَصَدَّقَ عُمَرُ فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَى، وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ، لا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالمَعْرُوفِ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ). هذا وَإِذَا أَرَادَ الوَاقِفُ أَنْ يَقِفَ شَيْئًا مِنْ أَمْوَالِهِ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُرَاعِيَ الأَصْلَحَ وَالأَهَمَّ فِي الجِهَةِ الَّتِي تُصْرَفُ إِلَيْهَا أَمْوَالُ الوَقْفِ، فَلا يَقِفَ شَيْئًا فِي جِهَةٍ قَدِ اكْتَفَتْ بِوُقُوفَاتِهَا، وَغَيْرُهَا مِنْ جِهَاتِ البِرِّ مُعَطَّلَةٌ عَنْ أَمْوَالِ الوَقْفِ وَلا سِيَّمَا عِنْدَ حَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهَا، فَلْيَنْظُرِ الوَاقِفُ مَا يَكُونُ فِي مُجْتَمَعِهِ وَمَا هُوَ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ، وَلْيُوَجِّهْ وَقْفَهُ إِلَى مَا هُوَ أَنْفَعُ لِلنَّاسِ وَأَصْلَحُ لِحَالِهِمْ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَقِفُوا مِنْ أَمْوَالِكُم لِتَرْتَقُوا بِمُجْتَمَعِكُم، وَلْتَكُنِ النُّفُوسُ سَخِيَّةً، وَالأَيْدِي بِالخَيْرِ نَدِيَّةً؛ فَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الَّذِي حَثَّ عَلَى رِعَايَةِ مَصَالِحِ العِبَادِ، وَرَغَّبَ فِي عِمَارَةِ البِلادِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَرَ بِشُكْرِ المُحْسِنِينَ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى مَا فِيهِ خَيْرُ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ: إِنَّ دِينَنَا الحَنِيفَ يَحْرِصُ عَلَى إِقَامَةِ مُجتَمَعٍ فَاعِلٍ، يَكُونُ لَهُ مِنَ

المُقَوِّمَاتِ الإِنْتَاجِيَّةِ، وَالقُوَّةِ الاقْتِصَادِيَّةِ، وَالمَكَانَةِ الخُلُقِيَّةِ وَالاجتِمَاعِيَّةِ، مَا يُؤَهِّلُهُ لِتَحقِيقِ التَّقَدُّمِ وَالرَّخَاءِ، وَلِذَا عُنِيَ الدِّينُ عِنَايَةً فَائِقَةً بِالتَّنْمِيَةِ، فَبَيَّنَ الأُسُسَ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا، وَحَذَّرَ مِنَ المُعَوِّقَاتِ الَّتِي تَعتَرِضُها، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ النَّفْعِ الْعَامِّ وُصُولًا إِلَى تَنْمِيَةِ مَجَالاتِ التَّكَافُلِ الاجتِمَاعِيِّ، وتَسْهِيلِ سُبُلِ العَمَلِ الإِنْسَانِيِّ. هَذَا وإِنَّ مَيْدَانَ الْوَقْفِ لَيسَ مَيدَانًا ضَيِّقًا، بَلْ هُو مَيْدَانٌ فَسِيحٌ يَشْمَلُ كُلَّ أَلوَانِ البِرِّ فِي القِطَاعَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالصِّحِّيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ وَغَيْرِهَا، فَحَرِيٌّ بِنَا أَنْ نُحْيِيَ سُنَّةَ الْوَقْفِ وَنَسْتَعِيدَ دَوْرَهُ فِي الإِعْمَارِ وَالإِنْجَازِ وَتَحْقِيقِ المَصَالِحِ، وَتَرْسِيخِ جَوَانِبِ البِرِّ، فَالوَقْفُ كَانَ وَلا يَزَالُ يَقُومُ بِوَظِيفَةٍ حَضَارِيَّةٍ، لِيَستَمِرَّ العَطَاءُ، وَيَدُومَ الخَيْرُ وَالنَّفْعُ، فَحَيَّا اللهُ تِلْكَ النُّفُوسَ السَّخِيَّةَ عَلَى مَا بَذَلَتْ وَتَبْذُلُ فِي خِدْمَةِ مُجتَمَعَاتِنَا وَرِفْعَةِ أَوْطَانِنَا: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾[1]. وَلَا نَنْسَى أَنَّ التَّثْمِيرَ فِي الإِسْلامِ ضَرورَةٌ لِلتَّنْمِيَةِ البَشَرِيَّةِ، وَأَسَاسٌ مِنَ الأُسُسِ الحَضَارِيَّةِ، لِذا فإِنَّنَا نُهِيبُ بِالتُّجَّارِ وَأَصْحَابِ الأَمْوَالِ، إِلَى أَنْ يُسْهِمُوا فِي مُؤَسَّسَاتٍ وَقْفِيَّةٍ تَرْعَى الضُّعَفَاءَ وَالمُحتَاجِينَ وَالعَجَزَةَ وَغَيْرَهُمْ، فَيَا مَنْ تَبْحَثُونَ عَنْ أَفْضَلِ وَسِيلَةٍ لِتَثْمِيرِ الأَمْوَالِ: هَذَا خَيْرُ سُبُلِهَا، سَكِينَةٌ فِي النَّفْسِ، وَطُمَأْنِينَةٌ فِي القَلْبِ، وَبَرَكَةٌ فِي العُمُرِ وَالرِّزقِ وَالبَدَنِ، وَالزَّوْجَةِ وَالوَلَدِ، لِيَبْقَى لِكُلِّ مِنَّا مَا تَرَكَ مِنْ خَيْرٍ، وَمَا خَلَّفَ مِنْ أَثَرٍ طَيِّبٍ، يَبْقَى ذَلِكَ مِنْ بَعْدِهِ بَيْنَ النَّاسِ مَنْفَعَةً وَذِكْرًا، وَيَبْقَى عِنْدَ اللهِ لَهُ زَادًا وَذُخْرًا، فَيَا عَبْدَ اللهِ، أَيْنَ أَتْرُكَ الطَّيِّبُ فِيمَنْ حَوْلَكَ؟ وَأَيْنَ بَصْمَتُكَ المُتَمَيِّزَةُ فِي مُجْتَمَعِكَ؟

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَتَوَاصَوْا بِالخَيْرِ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ، وَلْيَكُنْ لَكُمْ فِي كُلِّ خَيْرٍ سَهْمٌ، وَفِي كُلِّ بِرٍّ نَصِيبٌ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ

(١) الزلزلة: ٧

(٢) البقرة: ٢٦٢

ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّباتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، ونَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، ونَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وأَلْسِنةً صَادِقةً، ونَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

(١) الأحزاب: ٥٦